

قَنَادِيلُ الإِيمَان

فِي اغْتِنَامِ شَعْبَانَ، وَاسْتِقْبَالِ رَمَضَانَ



كَتَبَهُ: حَمَدُ أَبُو زَيْدٍ الْعُتَيْبِيُّ

غَفَرَ اللهُ لَهُ

الْمُقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا الأَمِيْنِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ رسالة لطيفة مشتملة على تنبيهات مفيدة متعلقة بالأسباب المعينة على (اغتنام شعبان)، (واستقبال رمضان) بأنس الإيمان.

وأصلها عدد من المقالات الخطابية التابعة لسلسلة مقال الخطيب مع بعض المقالات المأخوذة من (فائدة الأسبوع) ألفت بينها في هذه الرسالة الصغيرة تحت عنوان:

"قَنَادِيلُ الإِيمَانِ فِي اغْتِنَامِ شَعْبَانَ، وَاسْتِقْبَالِ رَمَضَانَ"

وأسأل اللّه القبول والثواب والنفع في الدارين لي ولمن قرأها أو استفاد منها أو دل عليها.

شَعْبَانُ بَيْنَ الغَافِلِينَ وَالْمُتَعَبِّدِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

فإن الله —تعالى— قد خلق العباد لغاية جليلة، وحكمة نبيلة. فيها سعادتهم وصلاحهم، وبها نجاتهم وفلاحهم. فقال —سبحانه—: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ووظائف هذه العبودية موزعة على سنوات أعمارهم، مبثوثة بين ليلهم ونهارهم، حتى تأتي على أسبوعهم، فشهرهم، فعامهم، حتى تنقضي تلك الأعمار، وينتقلوا من هذه الدار إلى الملك العزيز الغفار.

فيُقلِّب الله للناس الزمان، ويعاقب بين الليل والنهار حتى تتجدد عبوديتهم لله —تعالى-، وتنشط نفوسهم لطاعته، كما قال —

سبحانه-: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ [الفرقان: ٦٢].

قَالَ السَّعْدِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في قوله-: " ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يذهب أحدهما فيخلفه الآخر، هكذا أبدا لا يجتمعان ولا يرتفعان، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أي: لمن أراد أن يتذكر بهما ويعتبر ويستدل بهما على كثير من المطالب الإلهية ويشكر الله على ذلك، ولمن أراد أن يذكر الله ويشكره وله ورد من الليل أو النهار، فمن فاته ورده من أحدهما أدركه في الآخر، -وأيضاً-؛ فإن القلوب تتقلب وتنتقل في ساعات الليل والنهار فيحدث لها: (النشاط والكسل)، (والذكر والغفلة)، (والقبض والبسط)، (والإقبال والإعراض).

فجعل الله الليل والنهار يتواليان على العباد ويتكرران ليحدث لهم:

(الذكر، والنشاط، والشكر لله) في وقت آخر؛ ولأن أوراد العبادات تتكرر بتكرر الليل والنهار، فكلما تكررت الأوقات أحدث للعبد همة غير همته التي كسلت في الوقت المتقدم فزاد في تذكرها وشكرها، فوظائف الطاعات بمنزلة سقي الإيمان الذي يمده فلولا ذلك لذوى غرس الإيمان ويبس. فلله أتم حمد وأكمله على ذلك " (تيسير الكريم الرحمن، ص: ٦٨٦).

ومن رحمة الله بعباده أن جعل لهم من بين تلك الأزمنة مواسم فاضلة فيها نفحات من رحمته يُدركون بها ما فاتهم من الفضائل بسبب الغفلة، ويستدركون ما فرط منهم من المعاصي بسبب الهوى والشهوة.

قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ؛ فَإِنَّ لِلهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ " (السلسلة الصحيحة: ١٨٩٠) .

ومن بين تلك المواسم الفاضلة والمناسبات المباركة شهر شعبان المبارك، فقد كان له عند السلف مكانة رفيعة ومنزلة عالية فهو (شهر القرآن)، (وشهر الصيام) .

فمن فضائله أنه شهر يغفر فيه لكل المؤمنين إلا لمشاحن أو مشرك، كما روى أبو ثعلبة الخشني –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إِذَا كَانَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ اطَّلَعَ اللَّهُ إِلَى خَلْقِهِ فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُمْلِي لِلْكَافِرِينَ وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوهُ" (صحيح الجامع، رقم: ٧٧١).

ولما رواه أبو موسى –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إِنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلاَّ لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ" (صحيح الجامع، رقم: ١٨١٩).

ومن فضائله أنه شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله –تعالى– كما روى أسامة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:

"شَعْبَانُ بَيْنَ رَجَبٍ وَشَهْرِ رَمَضَانَ تَغْفَلُ النَّاسُ عَنْهُ تُرْفَعُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ فَأُحِبُّ أَنْ لَا يُرْفَعَ عَمَلِي إِلَّا وَأَنَا صَائِمٌ" (صحيح الجامع ، رقم: ٣٧١١).

ولأجل فضيلته هذه كان نبينا –صلى الله عليه وسلم– يكثر من صيامه ، كما روت عائشة –رضي الله عنها– قالت : "كَانَ أَحَبَّ الشُّهُورِ إِلَيْهِ أَنْ يَصُومَهُ شَعْبَانُ ثُمَّ يَصِلُهُ بِرَمَضَانَ" (صحيح الجامع ، رقم: ٤٦٢٨).

وكان السلف يعدون صيامه كالراتبة القبلية لشهر رمضان المبارك، كما قَالَ ابْنُ رَجَبٍ –رَحِمَهُ اللهُ–: "صيامه كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة. بل قد تمرن على الصيام واعتاده، ووجد بصيام شعبان قبله حلاوة الصيام ولذته فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط.

ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان شرع فيه ما يشرع في رمضان من الصيام و قراءة القرآن ليحصل التأهب لتلقي رمضان و ترتاض النفوس بذلك على طاعة الرحمن " (لطائف المعارف، ص: ٢٥٨).

ومن أعمال السلف في هذا الشهر المبارك كثرة قراءة القرآن والانقطاع عن كل الأعمال إلا كتاب الله –تعالى–.

فقال سلمة بن كهيل: كان يقال شهر شعبان شهر القراء.

وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال: هذا شهر القراء.

وكان عمرو بن قيس الملائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن" (لطائف المعارف، ص: ٢٥٨).

وقد قَالَ رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ: لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يقرأ القرآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ،

وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ" (متفقٌ عَلَيْهِ).

فعلينا أن نتعرض لنفحات رحمة الله —تعالى—، ونقبل على طاعته وعبادته والإنابة إليه.

قَدْ هَيَّئُوكَ لأَمرٍ لَوْ فَطَنْتَ لَهُ * * * فَارْبَأ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الهَمَلِ

فعلينا أن نغتنم أوقات العمر، والأنفاس واللحظات في طاعة رب الأرض والسموات.

مَضَى رَجَب وَمَا أَحْسَنْتَ فِيهِ * * * وَهَذَا شَهْرُ شَعْبَانَ الْمُبَارَك

فَيَا مَنْ ضَيَّعَ الأَوْقَاتَ جَهْـلاً * * * بِحُرْمَتِهَا أَفِقْ وَاحْذَرْ بَوَارَك

فَسُوفَ تُفَارِقُ اللَّذَاتِ قَسْراً * * * وَيُخْلِي الْمَوْتُ كرْهاً مِنْكَ دَارَك

تَدَارَكْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الخَطَايَا * * * بِتَوْبَةِ مُخْلِصٍ وَاجْعَلْ مَدَارَك

عَلَى طَلَبِ السَّلامَةِ مِنْ جَحِيمٍ * * * فَخَيْرُ ذَوِي الجَرَائِمِ مَنْ تَدَارَك

مُكَافَأَةُ شَعْبَانَ خَاصَّةٌ لِأَهْلِ الإِيمَانِ وَالإِحْسَانِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمه وأفضاله ونواله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وصحبه وآله.

أَمَّا بَعْدُ:

فمن المسائل المهمة التي يهتم بها الصالحون ويعتني بها الموفقون: معرفة السبل المفضية إلى جنان الخلد والموجبة لرضا الرب، ولجلالة قدْرِها عني بها الصحابة الكرام، وأولوها بالغ الحرص والاهتمام.

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: سئل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: "تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ".

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: "الْفَمُ وَالْفَرْجُ"

(رواه الترمذي، برقم: (٢٠٠٤)، وحسنه الألباني).

اعلم أن (تَقْوَى اللهِ) هي اتقاء الله بفعل أوامره وترك نواهيه، وأعظم ما أمر الله به هو الإيمان، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك.

(وَحُسْنَ الخُلُقِ) هو بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه.

واعلم أن دخول الجنة هو مطلب الرسل والأنبياء، ومقصد الصالحين والأولياء. فكل مكابدة في هذه الحياة إنما يذللها هذا المطلب، وكل معاناة إنما يخففها هذا المقصد.

والله —سبحانه— لمحبته للطائعين، ورضاه عن المتقين يُعجِّل بكرامتهم، ويتفضل بالإنعام عليهم، فتسبق إليهم رحمته، وتشملهم مغفرته.

وقد جعل الله —تعالى— لهذا الفضل العظيم، والجود العميم زماناً فاضلاً، ووقتاً مباركاً يُظْهِر فيه لطفه وبره ورحمته ومغفرته وحبه ووده لمن هو أهل لفضله، ومحل لكرامته.

كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَسَلُوا اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ" (السلسلة الصحيحة : ١٨٩٠) .

فالله –تعالى– له نفحات من رحمته بثها في ثنايا الزمان، وهذه النفحات لها أسباب توجبها –بفضل منه وإنعام– للمتقين المتخلقين بأخلاق أهل الإيمان والإحسان.

فمن زمانها (ليلة النصف من شعبان).

ومن أسبابها (حسن الخلق)، (والإيمان).

لما روى أبو ثعلبة الخشني –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إِذَا كَانَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ اطَّلَعَ اللَّهُ إِلَى خَلْقِهِ

فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُمْلِي لِلْكَافِرِينَ وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوهُ " (صحيح الجامع، رقم: ٧٧١).

فتأمل كيف أن هذه الليلة المباركة يفيض فيها ربنا الرحمن سابغ نعمته، وجزيل بركته على المؤمنين من عباده، فيغفر لهم ذنوبهم لتكتمل سعادتهم، ويذهب عنهم ما يعكر عليهم صفو الحياة، وينغص عليهم المسرات والملذات.

ولما قال: " وَيُمْلِي لِلْكَافِرِينَ وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوهُ " دل ذلك على أن المقصود بالمؤمنين من تحلوا بوصفين:

□ أنهم أهل (الإيمان)، (والتوحيد) فهم قد آمنوا به وانقادوا له ولم يستكبروا عليه بل أفردوه بالعبادة والطاعة، ولم يشركوا بعبادته أحداً.

□ وأنهم أهل (الأخلاق الفاضلة)، (والشمائل الزكية) خالية قلوبهم من الضغائن والأحقاد، سليمة نفوسهم من الغل والغيظ على العباد.

وقد صرح بهذا المعنى في حديث أبي موسى –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إِنَّ اللهَ –تَعَالَى– لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ" (صحيح الجامع، رقم: ١٨١٩).

فما أقبح الشرك الذي يحول بين العباد وبين سعادتهم ونجاتهم وفلاحهم، ولا ريب أنه موجب لحرمانهم من الرحمة والمغفرة؛ لما اشتمل عليه من الظلم العظيم والشناعة المقيتة بصرفهم حقوق الإلهية المحضة لمن لا يستحقها. بل ولا يتصور في الفطر مشارك لله فيها.

إذ كيف يصح أن يُؤَلِّه القلبُ بالمحبة والتعظيم والذل والخضوع –رغبة ورهبة– غير الذي خلقه وبراه، وبأحسن صورة سواه، ثم أنعم عليه وحباه، وإلى مصالحه أرشده وهداه.

فالشرك منتهى الجهل والسفه، وغاية التيه والضلال، فاعله مستحق للمقت، ومقترفه مستوجب للانتقام، فهو ظلم وظلام، وسفه عقول وأحلام.

ولما كان هذا شأنه قال –تعالى–: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾، وفي آية: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾، وقال –تعالى–: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾، وقال –تعالى–: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾

وَالسَّبَبُ الثَّانِي الذي يمنع من هذه النفحة المباركة في ليلة النصف من شعبان هو المشاحنة والمباغضة والمدابرة بين أهل الإيمان.

فما أقبح الحظوظ النفسية التي تحول بين العبد والجنة؛ وذلك ناشئ من سوء خلق العبد المنطوي على الغلظة والشدة والوقاحة والصلافة فجوزي من جنس عمله، فلما كان فظاً غليظ القلب قاسي العريكة فيه قسوة ويبوسه مُنع ما يوجب الرحمة واللطف.

فأهل الإيمان والأخلاق يُغفر لهم في هذه الليلة المباركة فتُشرق قلوبهم وتطمئن نفوسهم ، ويبقى أهل (الضغائن)، (والأحقاد) تغلي مراجل قلوبهم بنار حقدهم (تعيسة حياتهم)، (منغصة لذاتهم) ، ولهذا قال : "وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوهُ".

ولقبحه قطع النبي — صلى الله عليه وسلم – كل الأسباب المفضية إليه ، فثبت عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ. وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا . وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا» (متفق عليه) .

واعلم أنه لا يحل لمسلم أن يزيد في الهجر لحظ نفسه على ثلاثة أيام عند مخاصمة أخيه المسلم؛ لأنه قد ثبت عن أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ –رضي الله عنه–، أَنَّ رَسُولَ الله –صلى الله عليه وسلم– قَالَ:

«لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ. يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هذا، وَيُعْرِضُ هذا. وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ» (متفق عليه) .

فكيف يليق بمسلم حريص على دخول الجنة، ومغفرة ذنوبه إدامة المصارمة والمشاحنة بينه وبين إخوانه؛ لأجل حظوظ نفسية هي في حقيقة أمرها أمراض قلبية من كبر وأنفة، حقيقتها حمق وسفه، وجهل بالنفس وما يصلحها.

وإذا قدر خلو قلبه من ذلك ولا يكاد، فإنها هموم وأحزان وأنكاد يجرها إلى قلبه العليل فيثقله ويتعبه ويرهقه، بما يضره ولا ينفعه.

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ * * * أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ
إنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِـهِ * * * لِأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّـــاتِ
وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُـهُ * * * كَأَنَّمَا قَدْ حَشَى قَلْبِي مَحَبَّـــاتِ
النَّاسُ دَاءٌ دَوَاءُ النَّاسِ قُرْبُـهُمْ * * * وَفِي اعْتِزَالِهِمْ قَطْعُ الْمَـــوَدَّاتِ

لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ قَنْطَرَةُ رَمَضَانَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أَمَّا بَعْدُ:

فإن ليلة النصف من شعبان ليلة مباركة، وفيها فضيلة ظاهرة فقد خصها الله -تعالى- من بين سائر ليالي العام أن تكون مغفرته فيها عامة لكل العباد إلا المشرك والمشاحن.

فقد ثبت عن أبي موسى -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إِنَّ اللهَ -تَعَالَى- لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ" (صحيح الجامع، رقم: ١٨١٩).

فالمشرك لا يغفر الله له بسبب شركه وكفره، والمشاحن لا يغفر له بسبب حقده وغله.

يوضحه حديث أبي ثعلبة الخشني –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "إِذَا كَانَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ اطَّلَعَ اللَّهُ إِلَى خَلْقِهِ فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُمْلِي لِلْكَافِرِينَ وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوهُ" (صحيح الجامع، رقم: ٧٧١).

ومع هذه الفضيلة الباهرة إلا أنه لا يشرع في ليلة النصف من شعبان أي عمل خاص أو عبادة معينة بل هي كسائر الليالي من جهة التعبد والتقرب إلى الله – تعالى – .

ومن المناسبات التي تظهر بسببها هذه الفضيلة لليلة النصف من شعبان أنها تعتبر قنطرة بين يدي شهر رمضان المبارك للدخول فيه والنهل من بركاته بنفوس نقية، وقلوب سليمة؛ لذلك فلا يجتازها إلا طاهر الإيمان، ونقي القلب.

وهي كالقنطرة التي تكون بين يدي الجنة في الآخرة، لا يجتازها المشرك؛ لأنه محرم عليه دخول الجنة، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[المائدة: ٧٢].

ولا يجتازها المتشاحنون حتى تهذب قلوبهم، كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا" (رواه البخاري).

والمناسبة بين قنطرة الجنة، وبين قنطرة شهر رمضان -ليلة النصف من شعبان- أن شهر رمضان تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- قَالَ:

"إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ" (متفقٌ عَلَيْهِ).

ولما كان رمضان تفتح فيه أبواب الجنة كانت ليلة النصف من شعبان قنطرة بين يديه، كالقنطرة التي تكون بين يدي الجنة؛ فلذلك لا يغفر فيها للمشرك؛ لأنه محرم عليه دخول الجنة، ولأنه ليس محلاً للمغفرة، كما قال –تعالى–: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ولا يغفر للمشاحن؛ لأنه لا يدخل الجنة أحد في قلبه غل على أحد حتى تهذب نفوسهم وتطهر قلوبهم في القنطرة بين يدي الجنة في الآخرة، كما قال – تعالى –: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

ففي الحديثين إشارة إلى وجوب نبذ الشرك، ونبذ التقاطع والتهاجر بين المؤمنين، وأن عليهم أن يهيئوا قلوبهم بالإيمان الخالي من الشرك، ويهذبوا نفوسهم من الغل والحقد والضغائن.

وعلى العبد أن يسعى جاهدا في إزالة كل أسباب العداوة والبغضاء بينه وبين إخوانه حتى يدخل في رمضان وقد تخلص من تبعات أعماله بمغفرتها في قنطرة ليلة النصف من شعبان.

وقد أكد النبي – صلى الله عليه وسلم – على هذا المعنى بأن الجنة لا تدخل إلا بعد الإيمان الخالي من الشرك، والمودة والمحبة الخالية من الأحقاد والضغائن، كما قَالَ رَسُول اللّه –صلى اللّه عليه وسلم–: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ" (رواه مسلم).

فلا يدخل عبد الجنة حتى يؤمن ولا يؤمن حتى يكون بينه وبين إخوانه المحبة والمودة، وذلك من خلال إفشاء السلام وعدم التقاطع والتهاجر؛ فإذا فعلوا ذلك تسللت المحبة في قلوبهم وكمل فيها الإيمان فاستحقوا المغفرة ودخول الجنان.

فعلينا أن نستغل (قنطرة ليلة النصف من شعبان)؛ بأن لا تمر علينا إلا وقد أزلنا كل الخلافات بيننا وبين إخواننا فندخل ضمن أهل المغفرة من أهل الإيمان والمودة.

فكن عبد الله السباق إلى هذه الفضيلة وأبدأ كل من خاصمك بالسلام، فعن أَبي أيوبَ –رضي الله عنه–: أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: "لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ: يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ" (متفق عَلَيْهِ).

ونظراً لأن كثيراً من الناس قد لا يكون عنده وازعاً إيمانياً يحمله على المبادرة بالسلام، وترك الخصام والنزاع؛ فإن الله –تعالى– قد

رغب بإصلاح ذات البين، وأمر بها، ورتب الأجور العظيمة على ذلك، كما في قوله -تعالى-: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال -تعالى-: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

فعلينا أن نسعى جاهدين في إزالة كل بغضاء أو شحناء وقعت بين اثنين من المسلمين: من الأقارب، أو الجيران، أو الأصدقاء، أو الزملاء، ونحوهم.

وقد بشر النبي -صلى الله عليه وسلم- في أحاديث كثيرة في بيان فضيلة الإصلاح بين الناس، فمنها قوله -عليه الصلاة والسلام-: "أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ" (الصحيحة: ٢٦٣٩).

فدل هذا الحديث على أن أفضل أنواع الصدقات أن تصلح ذات البين بين الأب وابنه، أو بين الأخ وأخيه، أو بين الجار وجاره، أو بين أي مختصمين من المسلمين.

وقال النبي —صلى الله عليه وسلم— في حديث آخر-: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ" (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٨١٤).

فتأموا عباد الله كيف أن إصلاح ذات البين يقدم على نوافل الصلاة والصيام والصدقة؛ فإذا تزاحم عندك ذلك مع إصلاح ذات البين فقدم الإصلاح؛ لأنه أعظم أجرا عند الله —تعالى-.

والمقصود أن الموفق من يغتنم فرصة ليلة النصف من شعبان، وأن يعرف أنها قنطرة بين يدي رمضان تهيئ العبد للدخول فيه لاغتنام أجوره على أكمل الوجوه.

وأن المحرومين فضل هذه الليلة هم كل مشرك عبد غير الله، وكل من امتلأ قلبه حقداً وضغينة على أحد من إخوانه المسلمين بسبب حظوظ النفس وشهواتها، فوجب علينا أن نحقق الإيمان، ونطهر قلوبنا من الغل والشنآن، وأن نشيع السلام بين المؤمنين، فإذا فعلنا ذلك تهيئت نفوسنا للدخول في شهر رمضان، كما تتهيأ نفوس المؤمنين في الآخرة عند القنطرة حتى يدخلوا جنات النعيم.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ

وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أَمَّا بَعْدُ:

فإن الله —تبارك وتعالى— قد أنعم على أمة الإسلام بأتم النعم، وأفضل المنن؛ وذلك بتكميل الدين، لعباده المؤمنين؛ فجمع فيه فضائل الأديان السابقة، وزادهم من فضله ما خصهم به من النعم السابغة، وميزه على غيره حتى ارتضاه، وأضافه إليه واختاره لمن اصطفاه. كما قال —سبحانه-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣].

ومن بين تلك الشرائع الفاضلة، والأوامر الباهرة، والأحكام الفاخرة: تشريع الصيام. قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

قَالَ السِّعْدِيُّ -رَحِمَهُ اللّهُ-: "يخبر -تعالى- بما منَّ به على عباده، بأنه فرض عليهم (الصيام)، كما فرضه على الأمم السابقة، لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان.

وفيه تنشيط لهذه الأمة؛ بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمسارعة إلى صالح الخصال، وأنه ليس من الأمور الثقيلة، التي اختصصتم بها.

ثم ذكر -تعالى- حكمته في مشروعية الصيام فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى؛ لأن فيه امتثال أمر اللّه واجتناب نهيه.

فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم اللّه عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقرباً بذلك إلى اللّه، راجياً بتركها ثوابه، فهذا من التقوى.

ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة اللّه —تعالى–، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع اللّه عليه.

ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان؛ فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي.

ومنها: أن الصائم في الغالب، تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى.

ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك، مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى" (تيسير الكريم الرحمن، ص: ٨٣).

إِذَا رَمَضَانُ أَتَى مُقْبِلاً *** فَأَقْبِلْ فَبِالْخَيْرِ يُسْتَقْبَلُ

لَعَلَّكَ تُخْطِئُهُ قَابِلاً *** وَتَأْتِي بِعُذْرٍ فَلاَ يُقْبَلُ

ولما كان هذا شأنه فقد حرص النبي –صلى الله عليه وسلم– على صيامه وقيامه، وكان يستقبله بالتذكير به، والتنويه بعظم شأنه، حتى لا يُفَوِّت العباد فرصة أجره وثوابه.

فعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال دخل رمضان فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ" (رواه ابن ماجه، صحيح الجامع برقم: ٢٢٤٧).

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ؛ تُفَتَّحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ،

وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ " (رواه النسائي، صحيح الجامع برقم: ٥٥).

قَالَ ابْنُ رَجَب -رَحِمَهُ اللهُ-: " قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان، كيف لا يُبَشَّر المؤمن بفتح أبواب الجنان، كيف لا يُبَشَّر المذنب بغلق أبواب النيران، كيف لا يُبَشَّر العاقل بوقت يغل فيه الشياطين، من أين يشبه هذا الزمان زمان " (لطائف المعارف، ص: ٢٧٩).

أَتَى رَمَضَانُ مَزْرَعَةَ العِبَادِ ... لِتَطْهِيرِ القُلُوبِ مِنَ الفَسَادِ

فَأَدِّ حُقُوقَـــهُ قولاً وَفِعْلاً ... وَزَادَكَ فَاتَّخِذْهُ إِلَى الْمَعَـادِ

فَمَنْ زَرَعَ الحُبُوبَ وَمَا سَقَاهَا ... تَأَوَّهَ نَادِماً يَـوْمَ الحَصَادِ

ومما يبين جلالة الصيام؛ أنه أحد مباني الإسلام، وركن من أركانه العظام، كما جاء عن ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: "بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ:

شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ" (رواه البخاري ومسلم).

ومن بركة هذا الشهر الفضيل، ومن نفعه العميم ما روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ للهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ -يَعْنِي فِي رَمَضَانَ- وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً" (صحيح الترغيب والترهيب، برقم: ١٠٠٢).

ومن فضائله الجسام أنه يكفر صغائر الذنوب لعام على شريطة اجتناب الكبائر العظام، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ" (رواه مسلم).

بل إن قيام العبد بهذه الفريضة مؤمن بها، ومصدق بحكمها، ومنقاد وعامل بمقتضاها، مع احتسابه أجر تعبه، ومشقة قيامه بها عند الله –تعالى–؛ فإنه تغفر ذنوبه التي تقدمت، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" (رواه البخاري ومسلم).

ومن خصائصه التي تميز بها، وفضائله التي انفرد بها، أن الله –تعالى– أضافه لنفسه، كما ثبت في الصحيحين عن أَبي هريرة –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "قَالَ اللهُ –عز وجل–: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَام، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَومُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ

فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بفطره، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ" (متفقٌ عَلَيْهِ)، وهذا لفظ روايةِ البُخَارِي.

وفي رواية لمسلم: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يضاعَفُ، الحسنةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللهُ -تَعَالَى-: إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ".

فأكرم به من شهر تزداد فيه الطاعات، وتقال فيه العثرات، وتغفر فيه السيئات، يتلى فيه الكتاب، وتعمر فيه المساجد، وتكثر فيه الصدقات، إنه شهر الهدى والتقى والبركات.

يَا ذَا الَّذِي مَا كَفَاهُ الذَّنْبُ فِي رَجَب * حَتَّى عَصَى رَبَّهُ فِي شَهْرِ شَعْبَان
لَقَدْ أَظَلَّكَ شَهْرُ الصَّوْمِ بَعْدَهُمَا * فَلا تُصَيِّرْهُ -أَيْضاً- شَهْرَ عِصْيَان
وَاتْلُ القُرْآنَ وَسَبِّحْ فِيهِ مُجْتَهِداً * فَإِنَّهُ شَهْرُ تَسْبِيحٍ وَقُرْآن
فَاحْمِلْ عَلَى جَسَدٍ تَرْجُو النَّجَاةَ لَهُ * فَسَوْفَ تُضْرَمُ أَجْسَادٌ بِنِيرَان

مِنْ فِقْهِ الصِّيَامِ وَحِكَمِهِ

اعلم –وفقك الله– أن حقيقة الصيام هي امتناع العبد عمَّا حرم الله؛ بمنع الجوارح عن الآثام، واللسان عن الكذب والفحش، والفرج عـن الرفث، والبطن عن الطعام والشراب.

فعن أَبي هريرة –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رسولُ اللّهِ –صلى الله عليه وسلم–: "إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ" (متفقٌ عَلَيْهِ).

وعنه، قَالَ: قَالَ النبيُّ –صلى الله عليه وسلم–: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ" (رواه البخاري).

وعَنْه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ فَإِنْ سَابَّكَ

أَحَدٌ أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ فَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ" (صحيح الجامع ، برقم: ٥٣٧٦).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: " وَأما الصَّوْم فناهيك بِهِ من عبَادَة تكف النَّفس عَن شهواتها وتخرجها عَن شبه الْبَهَائِم إِلَى شبه الْمَلَائِكَة المقربين؛ فَإِن النَّفس إِذا خليت ودواعي شهواتها التحقت بعالم الْبَهَائِم فَإِذا كفت شهواتها لله ضيقت مجاري الشَّيْطَان وَصَارَت قريبَة من الله بترك عَادَتهَا وشهواتها محبَّة لَهُ وإيثارا لمرضاته وتقربا إِلَيْهِ فيدع الصَّائِم أحب الْأَشْيَاء إِلَيْهِ وَأَعْظَمهَا لصوقا بِنَفسِهِ من الطَّعَام وَالشرَاب وَالْجِمَاع من أجل ربه فَهُوَ عبَادَة وَلَا تتَصَوَّر حَقِيقَتهَا إِلَّا بترك الشَّهْوَة لله فالصائم يدع طَعَامه وَشَرَابه وشهواته من أجل ربه وَهَذَا معنى كَون الصَّوْم لَهُ -تبَارك وَتَعَالَى-. وَبِهَذَا فسر النَّبِي -صلى الله عليه وسلم- هَذِه الْإِضَافَة فِي الحَدِيث فَقَالَ: يَقُول الله -تَعَالَى-: "كل عمل ابْن آدم يُضَاعف الْحَسَنَة بِعشْرَة أَمْثَالهَا قَالَ الله إِلَّا الصَّوْم فَأَنَّهُ لي وَأَنا أجزي بِهِ يدع طَعَامه وَشَرَابه من أجلى" (رواه مسلم).

حَتَّى أَن الصَّائِم ليتصور بِصُورَة من لَا حَاجَة لَهُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا فِي تَحْصِيل رضى الله وَأي حسن يزِيد على حسن هَذِه الْعِبَادَة الَّتِي تكسر الشَّهْوَة وتقمع النَّفس وتحي الْقلب وتفرحه وتزهد فِي الدُّنْيَا وشهواتها وترغب فِيمَا عِنْد الله وتذكر الْأَغْنِيَاء بشأن الْمَسَاكِين وأحوالهم وَأَنَّهُمْ قد أخذُوا بِنَصِيب من عيشهم فتعطف قُلُوبهم عَلَيْهِم ويعلمون مَا هم فِيهِ من نعم الله فيزدادوا لَهُ شكرا.

وَبِالْجُمْلَةِ فعون الصَّوْم على تقوى الله أَمر مَشْهُور فَمَا استْعَانَ أحد على تقوى الله وَحفظ حُدُوده وَاجْتنَاب مَحَارمه بِمثل الصَّوْم فَهُوَ شَاهد لمن شَرعه وَأمر بِهِ بِأَنَّهُ أحكم الْحَاكِمين وأرحم الرَّاحِمِينَ وَأَنه إِنَّمَا شَرعه إحسانا إِلَى عباده وَرَحْمَة بهم ولطفا بهم لَا بخلا عَلَيْهِم برزقه وَلَا مُجَرّد تَكْلِيف وتعذيب خَال من الْحِكْمَة والمصلحة بل هُوَ غَايَة الْحِكْمَة وَالرَّحْمَة والمصلحة وَإِن شرع هَذِه الْعِبَادَات لَهُم من تَمام نعْمَته عَلَيْهِم وَرَحمته بهم" (مفتاح دار السعادة: ٢/ ٣-٤).

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-:

فقوله: "ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي"؛ فيه فوائد:

- منها: كسر النفس؛ فإن الشبع والري ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة.

- ومنها: تخلي القلب للفكر والذكر؛ فإن تناول هذه الشهوات قد تقسي القلب وتعميه وتحول بين العبد وبين الذكر والفكر وتستدعي الغفلة، وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب ويوجب رقته ويزيل قسوته ويخليه للذكر والفكر.

- ومنها: أن الغني يعرف قدر نعمة اللّه عليه بإقداره له على ما منعه كثيرا من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح؛ فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع من ذلك على الإطلاق فيوجب له ذلك شكر نعمة اللّه عليه بالغنى ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك.

□ ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم؛ فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فتسكن بالصيام وساوس الشيطان وتنكسر سورة الشهوة والغضب ولهذا جعل النبي –صلى الله عليه وسلم–: "الصوم وجاء" لقطعه عن شهوة النكاح.

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله –تعالى– بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله في كل حال من الكذب والظلم والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم؛ ولهذا قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ".

وفي حديث آخر: "لَيسَ الصِّيَامُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ".

قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام.

وقال جابر –رضي الله عنه-: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء".

إذا لم يكن في السمع مني تصاون * وفي بصري غض وفي منطقي صمت

فحظي إذا من صومي الجوع والظمأ * فإن قلت إني صمت يومي صمت

وقال النبي –صلى الله عليه و سلم- : "رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ".

وَسِرُّ هَذَا: أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل وإن كان صومه مجزئا عند الجمهور بحيث لا يؤمر بإعادته لأن العمل إنما يبطل بارتكاب ما نهي عنه فيه لخصوصه دون ارتكاب ما نهي عنه لغير معنى يختص به هذا هو قول جمهور العلماء" (لطائف المعارف، ص: ١٥٤-١٥٦).

رَمَضَانُ بَيْنَ العِلْمِ وَالْجُودِ

ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ".

- وكان الزهري —رحمه الله— إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن و إطعام الطعام.

من فوائد الحديث:

١. قال الشافعي -رضي الله عنه-: أحب للرجل الزيادة في الجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله -صلى الله عليه و سلم-، ولحاجة

الناس فيه إلى مصالحهم ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم.

٢. دل على استحباب دراسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك وعرض القرآن على من هو أحفظ له.

٣. إن المدارسة بينه وبين جبريل كان ليلا يدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلا؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر.

٤. من أحوال السلف: كان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان، وكان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف. قال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري: إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن. وكانت عائشة –رضي الله عنها– تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان فإذا طلعت الشمس نامت.

وكان كثير من السلف يواسون من إفطارهم أو يؤثرون به ويطوون جوعا فكان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين فإذا

منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه السائل فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة فيصبح صائما ولم يأكل شيئا. واشتهى بعض الصالحين من السلف طعاما وكان صائما فوضع بين يديه عند فطوره فسمع سائلا يقول: من يقرض الملي الوفي الغني؟ فقال: عبده المعدم من الحسنات، فقام فأخذ الصحفة فخرج بها إليه وبات طاويا. وجاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ثم طوى وأصبح صائما. وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم تطوعا ويجلس يروحهم وهم يأكلون. وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم.

سلام اللّه على تلك الأرواح رحمة اللّه على تلك الأشباح لم يبق إلا أخبار وآثار، كم بين من يمنع الحق الواجب عليه وبين أهل الإيثار

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ... ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

(من لطائف المعارف بتصرف واختصار، ص: ١٦٩).

مِنْ أَعْمَالِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثبت في الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:

"كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ" هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: "أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ الْمِئْزَرَ".

وروى مسلم في صحيحه عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:

"كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَجْتَهِدُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهَا".

وهذه الأحاديث تبين أعمال النبي -صلى الله عليه وسلم- في العشر الأواخر، وهي كالآتي:

العمل الأول: إحياء الليل. ويحتمل أن المراد إحياء الليل كله، ويحتمل أن المراد بإحياء الليل إحياء غالبه، ويؤيده ما في صحيح مسلم عن عائشة، قالت: "مَا أَعْلَمُهُ قَامَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ".

العمل الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيره من الليالي؛ للأحاديث السابقة. قال سفيان الثوري: أحب إليّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل، ويجتهد فيه، ويُنهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك. وقد صح عن النبي أنه كان يطرق فاطمة وعلياً ليلاً فيقول لهما: "ألا تقومان فتُصليان" (رواه البخاري ومسلم).

وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده وأراد أن يُوتر. وورد الترغيب في إيقاظ أحد الزوجين صاحبه للصلاة، ونضح الماء في وجهه. وفي الموطأ أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، يقول

لهم: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

العمل الثالث: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يشد المئزر.

واختلفوا في تفسيره؛ فمنهم من قال: هو كناية عن شدة جدِّه واجتهاده في العبادة، وهذا فيه نظر، والصحيح أن المراد اعتزاله للنساء، وبذلك فسره السلف والأئمة المتقدمون منهم سفيان الثوري، وورد تفسيره بأنه لم يأوِ إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان .

(بتصرف من لطائف المعارف لابن رجب).

قَالَ ابْنُ عُثَيمِين –رَحِمَهُ اللَّهُ–: " العشر الأخيرة من رمضان فيها فضل عظيم لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يخصها بالاعتكاف ويخصها بالقيام كل الليل ويوقظ أهله فيها، وفيها ليلة القدر التي هي خير من الف شهر فلا ينبغي للإنسان أن يضيعها بالتجول في الأسواق هنا وهناك أو بالسهر في البيوت فيفوته في ذلك خير كثير وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يعتكف أول الشهر

العشرة الأولى منه ثم اعتكف العشرة الأوسط لرجاء ليلة القدر ثم قيل له إنها في العشر الأواخر فصار يعتكف العشر الأواخر رجاء لهذه الليلة العظيمة وإني أحث أخواني على اغتنام الصلاة فيها مع الإمام وإلا ينصرفوا حتى ينتهي الإمام من صلاته لأنهم بذلك يكتب لهم قيام ليلة " (فتاوى نور على الدرب) .

يا نائماً بالليل كم ترقد ⁕⁕⁕ قم ياحبيبي قد دنا الموعد

وخُذ من الليل وأوقاته ⁕⁕⁕ ورِداً إذا ما هجع الرّقد

يقول ابن القيم –رحمه الله تعالى– في كتابه الروح:

"اليقظة هي أول مفاتيح الخير فإن الغافل عن الاستعداد للقاء ربه والتزود لمعاده بمنزلة النائم بل أسوأ حالا منه فإن العاقل يعلم وعد الله ووعيده وما تتقاضاه أوامر الرب –تعالى– ونواهيه وأحكامه من الحقوق لكن يحجبه عن حقيقة الإدراك ويقعده عن الاستدراك سِنة القلب وهي غفلته التي رقد فيها فطال رقوده وركد وأخلد إلى نوازع الشهوات فاشتد إخلاده وركوده وانغمس في غمار الشهوات واستولت عليه العادات ومخالطة أهل البطالات ورضي بالتشبه بأهل إضاعة

الأوقات فهو في رقاده مع النائمين وفي سكرته مع المخمورين فمتى انكشف عن قلبه سنة هذه الغفلة بزجرة من زواجر الحق في قلبه استجاب فيها لواعظ الله في قلب عبده المؤمن أو همة علية أثارها معول الفكر في المحل القابل فضرب بمعول فكره وكبر تكبيرة أضاءت له منها قصور الجنة فقال:

ألا يا نفس ويحك ساعديني ... بسعى منك في ظلم الليالي

لعلك في القيامة أن تفوزي ... بطيب العيش في تلك العلالي

***

مِنْ فِقْهِ حِفْظ الْحَسَنَاتِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن من توفيق اللّه –تعالى– للعبد أن يسهل له فعل الطاعة، وييسر عليه القيام بها، ومن تمام التوفيق أن يعينه على حفظها بعد أدائها، وذلك بعدم الاتيان بما يبطل أجرها، أو ما يوجب سلب الأجر منه، أو ما يربوا عليها من السيئات وغير ذلك.

فالعبد مطالب بحفظ حسنته حتى لا يذهب سعيه سداً، ولا يجني من ورائه إلا التعب، ومن الصور التي تبطل الحسنات:

الصورة الأولى: معاصي الخلوات.

قد يعمل العبد طاعات كثيرة من صلاة وصيام وصدقة ولكنه إذا غاب عن أعين الناس انتهك ما حرم اللّه عليه، وهذا الفعل المشين يوجب بطلان الحسنات، ويدل لذلك حديث ثوبان –رضي اللّه عنه– عن النبي –صلى اللّه عليه وسلم– أنه قال: "لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها

اللّه هباء منثوراً. قال ثوبان: يا رسول اللّه صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم اللّه انتهكوها " (السلسلة الصحيحة برقم : ٥٠٥).

الصورة الثانية: الظلم والاعتداء على الغير وأخذ حقوقهم.

قد يأتي العبد بالأعمال الصالحة من صيام وصلاة وصدقة ولكنه يعتدي على غيره ويظلم الناس في أبدانهم وأموالهم وأعراضهم.

فإذا جاء يوم القيامة للحساب والجزاء وزعت تلك الحسنات على المظلومين، فعن أبي هُريرةَ –رضي اللّه عنه–: "أنَّ رسولَ اللّه –صلى اللّه عليه وسلم– قَالَ: "أتدرونَ مَن المُفْلِسُ؟"

قالوا: المفْلسُ فِينَا مَنْ لا دِرهَمَ لَهُ ولا مَتَاع، فَقَالَ: "إنَّ المُفْلسَ مِنْ أُمَّتي مَنْ يأتي يَومَ القيامَةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزَكاةٍ، ويأتي وقَدْ شَتَمَ هَذَا، وقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مالَ هَذَا، وسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا.

فيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وهَذَا مِنْ حَسناتهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُه قَبْل أنْ يُقضى مَا عَلَيهِ، أُخِذَ منْ خَطَاياهُم فَطُرِحَتْ عَلَيهِ، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ" (رواه مُسلم).

الصورة الثالثة: المعاصي التي تنافي مقصود العبادة.

إن من العبادات ما يكون مقصودها ترك الذنوب والمعاصي، فإذا أداها العبد وهو مقارف للمعاصي والسيئات، فوت مقصود العبادة ونقص من أجره على قدر السيئات التي يقترفها حتى لا تبقى عنده حسنة، ومن ذالك الصيام.

فعن أَبي هريرة –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ النبيُّ –صلى الله عليه وسلم–: "مَنْ لَمْ يدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ" (رواه البخاري).

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ– يَقُولُ: "رُبَّ قائمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ ورُبَّ صائمٍ حظُّه مِنْ صِيَامِهِ الجوع والعطش" (صحيح الجامع برقم: ٣٤٩٠).

الصورة الرابعة: المن بالعطية.

ومنه قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

"فأخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى، فما يفي ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى" (تفسير ابن كثير: ١/٦٩٤).

وغيرها من الصور التي ورد في الشرع إبطالها للحسنات بعد تحققها. وفيما سبق كفاية في التنبه إلى ضرورة حفظ الحسنات في رمضان وبعده. ومن الله التوفيق.

***

فَوَائِدُ مُتَفَرِّقَاتٌ وَتَنْبِيهَاتٌ مُهِمَّاتٌ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفائدة الأولى: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ —رضي الله عنه— قَالَ: "جَاءَ جِبْرِيلُ —عليه السلام— إِلَى النَّبِيِّ —صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ— فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكِ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَعِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ" (صحيح الجامع برقم: ٧٣).

في الحديث بيان فضيلة قيام الليل وأنه شرف المؤمن، ونحن في أيام القيام وخاصة العشر الأخيرة؛ فلنحرص على حسن قيامها لعل قلوبنا تتعلق بالقيام وتألفه فيستمر قيامنا الليل حتى بعد رمضان.

الفائدة الثانية: قال النبي —صلى الله عليه وسلم—: "إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ" (رواه أبو داود، صحيح الجامع برقم: ١٦١٥).

يستفاد من الحديث: أنه "إذا دار الأمر بين الصلاة أول الليل مع الجماعة وبين الصلاة آخر الليل منفرداً فالصلاة مع الجماعة أفضل لأنه يحسب له قيام ليلة تامة" (قاله الألباني في قيام رمضان ص: ١٩).

الفائدة الثالثة: مشروعية ركعتين بعد الوتر، قال الألباني: "الركعتان بعده: وله أن يصلي ركعتين لثبوتهما عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فعلاً (رواه مسلم).

بل إنه أمر بهما أمته فقال (صحيح): "إن هذا السفر جهد وثقل فإذا أوتر أحدكم فليركع ركعتين فإن استيقظ وإلا كانتا له".

والسنة أن يقرأ فيهما: (إذا زلزلت الأرض) و:(قل يا أيها الكافرون)" (قيام رمضان ص: ٢٤ – ٢٥).

الفائدة الرابعة: إذا سلم المصلي من الوتر يقول: سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس. ويمد بها صوته ويرفع الثالثة. (صحيح أبي داود: ١٢٨٤).

الفائدةالخامسة: قال أبو أمامة الباهلي –رضي اللّه عنه-: سمعت رسول اللّه –صلى اللّه عليه وسلم– يقول: "أَتاني رجُلان، فأَخذاَ بضَبعَيَّ، فأَتيَا بي جَبَلاً وعراً، فقالا: اصعد. فقلتُ: إنِّي لا أُطِيقُه. فقالا: إنّا سنُسهّله لك. فصعِدتُ حتّى إذا كنتُ في سَواءِ الجبَل؛ إذا أنا بأصواتٍ شديدةٍ، قلتُ: ما هذه الأصواتُ؟ قالوا: هذا عُواء أهلِ النّارِ ثم انطلقَا بي؛ فإذا أنا بقوم معلَّقينَ بعَراقِيبهم، مشقّقة أشداقُهم، تسيلُ أشداقُهم دماً، قال، قلتُ: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يفطرون قبل تَحِلَّةِ صومِهم". (السلسلة الصحيحة: ٣٩٥١).

والضَّبْع: هو وسط العضد.

والعُرْقُوب: العصب الغليظ الموتَّر فوق العَقِب.

والأشداق: جوانب الفم.

قال الألباني –رحمه اللّه-: "[تنبيه]: قلت في تعليقي على "صحيح موارد الظمآن" ما نصه:

"أقول: هذه عقوبة من صام ثم أفطر عمداً قبل حلول وقت الإفطار، فكيف يكون حال من لا يصوم أصلاً؟ نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة" (السلسلة الصحيحة).

قال الحافظ الذهبي –رحمه الله تعالى–: "وعند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان من غير عذر أنه شرّ من الزاني ومدمن الخمر، بل يشكّون في إسلامه، ويظنّون به الزندقة والانحلال" (التنوير شرح الجامع الصغير: ٧/٢٢٤).

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "إذا أفطر في رمضان مستحلا لذلك وهو عالم بتحريمه استحلالا له وجب قتله، وإن كان فاسقا عوقب عن فطره في رمضان". (مجموع الفتاوى: ٢٥/٢٦٥).

يروى عن الأصمعيّ أنّه قال: هجم عليّ شهر رمضان وأنا بمكة، فخرجتُ إلى الطائف لأصومَ بها هَرباً من حرّ مكّة، فلقيني أعرابي، فقلت له: أين تريد؟ قال: أريد هذا البلد المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه، فقلت: أما تخاف الحرّ؟ فقال: من الحرّ أفرُّ ﴿ وَقَالُوا

﴿لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾

[التوبة: ٨١].

قال بعض الحكماء: "مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعاً، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً".

الفائدة السادسة: "عن جبير بن نفير قال: كان أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم– إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك" صحيح رواه المحاملي وغيره.

تنبيه: سئل الشيخ الألباني –رحمه الله– ما حكم قول: (كل عام وانتم بخير)، فأجاب: "هذه تتمة لا أصل لها وحسبك تقبل الله طاعتكم أما كل عام وانتم بخير هذه تحيه الكفار صارت إلينا نحن المسلمين في غفلة منا وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين". (سلسله الهدى والنور شريط رقم: ٣٢٣).

وفي أحد دروس رمضان للشيخ محمد بن عثيمين –رحمه الله تعالى– في الحرم المكي عام ١٤١٩ هـ، قال: التهنئة بالعيد لا بأس بها، ولها أصل من السُّنَّة، فماذا يقول؟

بعض النَّاس يَقُوْل: "كل عام وأنت بخير" هذه التهنئة " كل عام وأنت بخير" وهي جملة خبرية، وإن كان المخبر بها يريد الدُّعاء، لكن ينبغي أن يعدل عن هَذَا فيقال: أرجو أن يكون عيدك مباركا، أو هنَّأَك الله بالخير، أو كلمة لها معنى، أو لها وزن، والصِّيغة يصوغها الإنسان بما شاء، لكن أحب أن تكون صيغة لها وزنها وقيمتها.

أمَّا "كُلُّ عام وأنت بخير" فيما أرى والأذواق تختلف، أنها جملة باردة، ما تحرِّك النَّفس، لكن هنَّأَك الله بهذا العيد وجعله عليك عيدا مباركا، وتقبَّل الله صيامك وقيامك، هَذَا يكون ممتازا". اهـ

لطيفة: قال الألباني في " السلسلة الصحيحة"(٦/٨٠٧):

"واعلم أن مخالفة الكفار المجوس و غيرهم كما في الحديث المتفق عليه: "إن اليهود و النصارى لا يصبغون فخالفوهم". والأحاديث

بهذا المعنى كثيرة جدا معروفة. يدل على أن المخالفة المأمور بها هي أعم من التشبه المنهي عنه، ذلك أن التشبه أن يفعل المسلم فعل الكافر، ولو لم يقصد التشبه، وبإمكانه أن لا يفعله. فهو مأمور بأن يتركه. وحكمه يختلف باختلاف ظاهرة التشبه قوة وضعفا.

وأما المخالفة فهي على العكس من ذلك تماما؛ فإنها تعني أن يفعل المسلم فعلا لا يفعله الكافر، إذا لم يكن في فعله مخالفة للشرع، كمثل الصلاة في النعال، فقد أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بها مخالفة لليهود، وقد تكون المخالفة لهم فيما هو من خلق الله في كل البشر لا فرق في ذلك بين مسلم وكافر، ورجل وامرأة، كالشيب مثلا، ومع ذلك أمر بصبغه مخالفة لهم كما تقدم، وهذا أبلغ ما يكون من الأمر بالمخالفة، فعلى المسلم الحريص على دينه أن يراعي ذلك في كل شؤون حياته، فإنه بذلك ينجو من أن يقع في مخالفة الأمر بالمخالفة، فضلا عن نجاته من التشبه بالكفار، الذي هو الداء العضال في عصرنا هذا. والله المستعان". انتهى كلامه –رحمه الله– (بتصرف يسير).

فَهرَسُ المَوَاضِيع